المعاني القرآنية ودلالتها في الشعر

م.م عباس سعدي عباس

جامعة بغداد/ كلية الهندسة/ قسم هندسة النفط

Abbas.S@coeng.uobaghdad.edu.iq

الملخص:

يستكشف هذا المقال التأثير العميق للمعاني القرآنية على الشعر العربي. من خلال الاستعانة بمصادر متنوعة، بما في ذلك القرآن نفسه وأعمال شعرية لشعراء مشهورين مثل أبو الطيب المتنبي، يتناول الدراسة العلاقة المعقدة بين المعاني القرآنية والتعبيرات الشعرية. تكشف التحليلات أن الشعراء استلهموا من المعاني الغنية والمتنوعة الموجودة في القرآن، ودمجوها في أبياتهم لتعزيز جمالية وعمق شعرهم. يسلط المقال الضوء أيضًا على التقنيات اللغوية والأسلوبية التي يستخدمها الشعراء لنقل المعاني القرآنية بفعالية في أعمالهم. بالإضافة إلى ذلك، يدرس المقال أهمية المعاني القرآنية في تشكيل الخيال الشعري والإبداع لدى الشعراء العرب عبر التاريخ. بشكل عام، يسلط هذا الدراسة الضوء على التأثير العميق للمعاني القرآنية على الشعر العربي ويؤكد على أهمية فهم التفاعل بين النصوص الدينية والتعبيرات الأدبية في التقاليد الأدبية العربية.

الكلمات المفتاحية : (المعاني القرآنية ، الشعر العربي ، التعبيرات الشعرية ، التقنيات اللغوية ، الخيال الشعري).

Quranic meanings and their significance in poetry

Ass. Lec. Abbas saadi Abbas

University of Baghdad / College of engineering / Department of Petroleum Engineering

ABSTRACT:

Abstract: This article explores the profound impact of Quranic meanings on Arabic poetry. Drawing from various sources, including the Quran itself and poetic works by renowned poets such as Abu Al-Tayyib Al-Mutanabbi, the study delves into the intricate relationship between Quranic meanings and poetic expressions. The analysis reveals that poets have drawn inspiration from the rich and diverse meanings embedded in the Quran, incorporating them into their verses to enhance the beauty and depth of their poetry. The article also highlights the linguistic and stylistic techniques employed

by poets to effectively convey Quranic meanings in their works. Furthermore, it examines the significance of Quranic meanings in shaping the poetic imagination and creativity of Arab poets throughout history. Overall, this study sheds light on the profound influence of Quranic meanings on Arabic poetry and emphasizes the importance of understanding the interplay between religious texts and literary expressions in the Arab literary tradition.

key words : (Qur'anic meanings, Arabic poetry, poetic expressions, linguistic controls, poetic imagination).

المقدمـــة:

المعاني القرآنية : (هي لبُّ كلام العرب وزبدته ، وواسطته وكرائمه ، وعليها اعتماد الفقهاء ، والحكماء في أحكامهم ، وحكمهم ، وإليها مفزع حذاق الشعراء ، والبلغاء في نظمهم ونثرهم ، وما عداها وعدا الألفاظ المتفرعات عنها والمشتقات منها ، بالإضافة إلى أطايب الثمرة ، من لبوب الحنطة).

١

شغلت المعاني القرآنية مساحة مهمة من الشعر العربي ، قديمه وحديثه ، إذ اتَّكأ الكثير من الشعراء ،إن لم يكن جلَّهم على المعاني القرآنية، وصوره في صياغة معاني أشعارهم ، وذلك لإعجابهم بهذه المعاني ، وعجزهم عن مناظرتها ، ورغبتهم في توظيفها في أعمالهم ، من خلال اشتقاق معانيها ، وكشف مكنوناتها الثمينة ، ولكن ما الغاية من إيجاد المعنى ، أو إنتاجه إذا لم يفد أو يوظَّف في سياق النَّصِّ أو العمل الأدبي؟ فهل غاية الكلام إلاَّ الفائدة ؟ فغاية الكلام هي إفادة المعنى،والجملة لابد أن تفيد معنى ما من المعاني ، وإلاَّ كانت عبثاً. وهل هناك كلام يحمل فائدة كمثل كلام الله في قرآنه الكريم؟

تعد المعاني القرآنية من أهمِّ المصادر والينابيع التي اغترف الشعراء منها مضامين المعاني ، وجواهر الصور ، وجميل السياقات ،وفريد الدلالات والرموز، ولذلك احتلت تلك المعاني القرآنية واشتقاقاتها

مكانة واسعة وكبيرة في الأعمال الأدبية بمختلف أنواعها ، ولا سيما الشعر على مرِّ العصور والأزمنة ، من هنا فإنَّ المعاني والمضامين القرآنية ، أكثر من أن تحصى ، سواء ما يتعلق بالقرآن بشكل مباشر ، أو يرتبط به من خلال المضمون فقط .

لقد وظَّف الكثير من الشعراء على مرِّ العصور المعاني القرآنية خدمة لأغراضهم الشعرية ، فكان استلهامهم للمعاني القرآنية يتفاوت بين المادّيّ والمعنوي ، وهذا يعود إلى قدرة الشاعر وتمكنه من اللغة الشعرية وأساليبها، ومدى قدرته على التفاعل مع النَّصِّ القرآني وتوظيف معانيه ، داخل السياق الشعري ،فالنصُّ القرآني الكريم هو نصٌّ روحي مقدَّس استطاع تغيير طريقة تفكير المتلقي ، وطريقة كتابته، وبحث المعاني القرآنية في الشعر العربي ، من الأبحاث التي يجب الوقوف عندها ، ودراستها ، وكشف تأثيراتها على اللغة والسياقات الشعرية ، ومدى قوة التأثير وقدرته داخل المتخيل الشعري للشاعر ، ونصِّه الشعري، وسوف يتحدَّث البحث عن المعاني القرآنية في الشعر العربي ،وأنواعها .

المعاني القرآنية

تعدُّ المعاني القرآنية المنهل الأصلي النقي ، والأصيل الثابت الذي امتدَّت متخيلات الشعراء ، وعيونهم إلى غدرانه لترتشف منها معين المعنى ، ونبض الصورة ، ونكهة الجمال وسلاسة الأسلوب ، وطيب النكهة الروحية ، من خلال استلهام المعاني القرآنية ، واستلال اشتقاقاتها ، وتوظيفها بإضفاء دلالات جديدة عليها دون المساس بجوهرها، للخروج بنصٍّ شعري حي ، له روح وجسد ، لا ينفصل أحدهما عن الآخر، لما تركت فيه المعاني القرآنية من أثر ، وما أضفت عليه من جمالية.

شكل الحضور القرآني في النصوص الشعرية شاهداً حياً على صلة النصِّ الشعري بالنَّصِّ القرآني ، ومدى تأثير النَّصِّ القرآني على النَّصِّ الشعري ، كما بين مدى تأثر الشعراء بالمعاني القرآنية ، واهتمامهم بتوظيف معانيها ، والأساليب في النَّصِّ الشعري ، ومدى قدرة القرآن على توجيه الشعراء من خلال فتح الآفاق لهم للتعبير عن رؤاهم ، وأفكارهم ، وإعطائهم قدرة جديدة مضافة إلى قدراتهم الشعرية لإنتاج النَّصِّ الشعري الجديد ، المطعَّم بالمعاني القرآنية ، وسوف يدرس البحث أنواع المعاني القرآنية داخل النَّصِّ الشعري من خلال نماذج شعرية ، لعدد من الشعراء .

أنواع المعاني القرآنية في الشعر العربي.

اختلفت المعاني القرآنية في النصوص الشعرية باختلاف استخداماتها ، وطريقة توظيفها ، وقد ظهرت معاني متعددة شغلت مفاعيلها النصوص الشعرية ، كما شغلت متخيلات أصحابها ، ومن هذه المعاني :

أولاً.المعنى التصويري:

لجأ الشعراء في إنعاش اللغة ، وإثراء التصوير وإنتاجه إلى النَّصّ القرآني ، كوسيلة من أقوى الوسائل الإيحائية والمعنوية ، حيث عانى الشعراء من تطويع المعاني القرآنية وتطبيقها على السياق الشعري الجديد ، حيث كان الشاعر يضطر إلى استخدام التحوير في المعنى اللغوي ، والسياقي لتوظيف المعنى القرآني ضمن السياق الشعري ، ويقوم بشحنه بدلالة جديدة ، بعد تجريده من دلالته الحقيقية بنسبة تخدم النصَّ الشعري ، ولا تلغي جوهرها القرآني ، لكن المعنى الحقيقي للدلالة القرآنية يبقى عطراً داخل النصِ الشعري لا يمكن إزاحته .

تجسدت المعاني القرآنية في النصوص الشعرية، عبر الوسائل الفنية للشعر ولا سيما التصويرية، والتي استخدمها الشعراء كوسائل معنوية لنقل الدرس القرآني إلى الواقع المعيش لتطبيقه على مكامن النفس الإنسانية ،ونقله إلى العناصر الحياتية .

لقد نزل القرآن الكريم كأقدس كتاب استقبله البشر، واستقبلته الأرض ، إذ جاء جامعاً شاملاً حافظاً ، يؤثِّر ولا يتأثر ، فكان خير معين ، وأفضل رافد للعقل البشري بشكل عام ، وللشعراء على وجه

التحديد ، حيث جاءت أشعارهم مجبولة بمعانيه ، وألفاظه ، حتَّى الذين لم يؤمنو به كان للقرآن الكريم تأثير واضح في حياتهم ، وثقافتهم ، سواء من حيث اللغة ، أو من حيث السلوك ، وسيأتي البحث على أمثلة لطائفة من الشعراء الذين كان للقرآن الكريم دور في تلقفهم معانيه ، وتوظيفها في أشعارهم ،كالتوحيد ،والصبر ، والطعام والشراب،والتقوى، وغير ذلك ،ومن هؤلاء ، حسان بن ثابت ، يقول : [٢]

فَلَا تَجْعَلُوا للهِ أَنْدَاداً وَأَسْلِمُوا وَلَا تَلْبَسُوا زياً كَزيِّ الأَعَاجِمِ

فالشاعر يدعوا قومه للإخلاص في التوحيد، وعدم الشك في الوحدانية وألاَّ يجعلوا لله سبحانه أنداداً متأثراً بقوله تعالى : (فَلَا تَجْعَلُوا لِلهِ أَنْدَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُوْنَ).[٣]

فالتوحيد عُرِفَ من كتاب الله سبحانه ومن عقيدة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وهو صورة من صور الإيمان التي حملت معنى من المعاني القرآنية، والصبر هو خلو القلب من إيِّ ذكر سوى ذكر الله، وهو فعل من أفعال القلوب الصادقة التي تخلص في توحيدها ،يقول ابن أبي جمرة : (وددت أنه لو كان من الفقهاء من ليس له شغل إلاَّ أن يعلِّم الناس مقاصدهم).[٤]

لقد شغلت المعاني القرآنية ، وصورها المعنوية المعجم الفكري ، للشعراء ، وحرضت قرائحهم على التعاطي معها ، وتوظيفها في أشعارهم ، فكانت كالضوء الذي يمدُّ أشعته فيخترق متخيلاتهم ،ويظهر عبر نصوصهم الشعرية، حيث استخدم الشعراء المعاني القرآنية كمسعف لهم للتعبير عن مقاصدهم ، نظراً لما توفره

المعاني القرآنية من طاقات تعبيرية، ترفد قرائحهم الشعرية بما ينقصها من معانٍ ، ومشاهد معنوية تصويرية ،يقول الأخطل : [٥]

حُشْدٌ عَلَى الحَقِّ عَيَّافُو الخَنَا أَنفٌ إِذَا أُلَـمَّتْ بِهِمْ مَكْرُوْهَةٌ صَبَرُوا

وَإِنْ تَدَجَّتْ على الآفَاقِ مُظْـلِمَةٌ كَأَنَّ لَهُمْ مَخْرَجٌ مِنْهَا وَمُعْـتَصَرُ

فقد جاء السياق الشعري متأثراً بمعاني القرآن الكريم ،ففي كثيرٍ من آياته ، حضَّ القرآن على الصبر ، ودعا إلى الهداية ، والخروج من ظلمات الجهل والغواية ، فمن يصبر ، ويهتدي فله الجزاء الحسن، فجاءت المعاني مستقاة .

يقول تعالى : (واصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُوْرِ).[٦]

وقوله تعالى : (واللهُ وَلِيُّ الَّذِيْنَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوْرِ).[٧]

فالصبر من أوضح الأخلاق في القرآن وأبرزها، فهو قوت القلوب ، وزاد الروح، فيه العفَّة عن ارتكاب الأخطاء والذنوب، ولعظمة هذه الصفة ، فقد ذكرها (الله في القرآن في نيف وسبعين موضعاً).[٨]

فالصبر لازمة من لوازم الإيمان ترقى بالإنسان إلى مراتب العلى، وصورة من الصور الرحمانية التي خصَّ الله بها نفسه ، فالصبر سمة من سمات الإيمان، وتجسيد للصورة الرحمانية في النفس الإنسانية.

تعددت أنواع المعاني ، وألوانها في أشعار شعراء العرب ، فكانت كحجر الرحى

في النصّ الشعري، حيث وظَّفها الشعراء لشحن طاقاتهم التعبيرية ، للوصول إلى التعبير الشافي عمَّا يريدونه، ولم تسعفهم شاعريتهم للوصول إليه، يقول أبو تمام :[٩]

أَخَرْجَتَهُمْ بَلْ أَخْرَجَتْهُمُ فِتْنَةً سَلَبَتْهُمُ مِنْ نَضْرَةٍ وَنَعِيْمِ

نَقَلُوا مِنَ المَاءِ النَّمِيْرِ وَعِيْشَةٍ رَغَدٍ إِلَى الغِسْلَيْنِ وَالزُّقُّوْمِ

فأبو تمَّام ينفتح على القرآن الكريم ، وعلى قصصه التصويرية ،فيستلهم منها المعاني ، لنسج أشعاره ،حيث استلهم هذا البيت من قوله تعالى :

(إِنَّهَا شَجَرَةٌ تُخْرَجُ في أَصْلِ الجَحِيْمِ ، طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسِ الشَّيَاطِيْنِ، وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلَيْنٍ ، لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الخَاطِئُوْنَ).[١٠] فأبو تمام يستلهم الصور القرآنية ومعانيها من القرآن الكريم ، فهو يصوّر

طعام أهل النار ، ويصفه بأنه شرُّ طعام ، فلا يأكله ، ولا يقربه إلاَّ المخطئون، الذين نُقلوا من رغد العيش ، ومائه الصافي ، إلى الغسلين، وهو ما تغسل به أبدان الكفار في النار، وما تخرجه أبدانهم من الدم والماء اللذان يسيلان من لحومهم، من هنا جاء استلهام المعاني القرآنية (لإثارة حس المتلقي ، وإثارة خياله، وحثه على تذوق جمال النَّصِ).[١١] المشحون بالطَّاقة الروحية القرآنية لتحقيق جاذبية وتفاعل كبيرين بين النَّصِ والمتلقي.

لقد حملت المعاني القرآنية في طياتها النتائج التي كان الإنسان يتوخَّاها ، ويبحث عنها ، فلم يجدها حتى نزل القرآن وملأ هذا الفراغ داخل الرُّوح والفكر الإنساني ، واستكمل النواقص لمتخيلات الشعراء ، حيث أمدَّهم بالطاقة الروحية اللازمة من معاني فكرية ، وصور معنوية عبر القصص القرآنية التي تضمنت المعاني التصويرية.

فها هو ذا الشاعر إيليا أبي ماضي يشحذ قريحته ، من المعاني القرآنية ، كطاقة روحية ، ومعنوية أمدَّت خياله وقريحته الشعرية ، بالطاقة اللازمة، يقول :[١٢]

يَا أُخْتُ دَارُ الخُلُوْدِ يَا أُمَّ القُرَى يَـارَبَّـةَ الـغَـابَاتِ والآثَارِ

للهِ يـوْمٌ فِيْكِ قَـدْ قَضَـيْتُـهُ مَعْ عُصْبَةٍ مِنْ خِيْرَةِ الأَنْصَارِ

نَمْشِي عَلَى تِلْكَ الهِضَابِ وَدُوْنِهَا بَحْرٌ مِنَ الأَعْرَاسِ والأَشْجَارِ

تَنْسَابُ فِـيْهِ العَـيْنُ بَيْنَ جَدَاوِلٍ وَخَـمَـائِـلٍ وَمَسَالِكٍ وَدِيَـارِ

آناً عَـلَى جَـبَلٍ مَـكِـيْنٍ رَاسِخٍ رَاسٍ وَآناً فَوْقَ جُرْفٍ هَارِ

نسج الشاعر وهو في مغتربه نصَّه الشعري ،انطلاقاً من واقعه المعيش، وثقافته الدينية الواسعة ، وذهنيته المنفتحة ، التي خلصته من رواسب الثقافة الاجتماعية ، ونقلته إلى فضاءات التحرر الذهني والثقافي ، حيث جاء تأثُّره بالقرآن الكريم كنتيجة لثقافته العميقة ،التي استطاعت توظيف المعنى القرآني في النَّصِ الشعري توظيفاً خدم الغرض المراد للشاعر ، حيث جاءت النفحة القرآنية منسجمة مع السياق الشعري واللغوي ومع المعنى المراد من الآية الكريمة.

يقول الله تعالى : (أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللهِ وَرِضْوانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ في نَارِ جَهَنَّمَ واللهُ لَا يُهْدِي القَوْمَ الظَّالِمِيْنَ).[١٣]

فالله تعالى حدد المعنى والفهم الصحيح للتقوى ،وترك للإنسان حرية الاختيار، بين صورتين ،فإمَّا صورة التقوى الإيمانية الروحية ، وإمَّا صورة البعد عنها واستبدالها

بالبناء الدنيوي الزائل، وهنا يشير الشاعر في نصه الشعري إلى معنى التقوى في الآية السابقة ، وما تحمله هذه الصفة في مضامينها من معانٍ تصل بمن يتبعها إلى جنات النعيم، فالتقوى هي رؤية الله لعبده في المكان الذي أمره أن يكون فيه ، وعدم رؤيته في المكان الذي نهاه عنه ، والمتقي : (من يقي نفسه عن تعاطي ما يُعاقب عليه من فعل أو ترك ، وأصل الاتقاء الحجز).[١٤]

إنَّها الصورة التي حدَّدها الله من خلال مصطلح التقوى، وما تحمله في مضامينها من معاني وصور للمتقين ، والمخالفين.

من هنا جاءت المعاني التصويرية للنصوص الشعرية ،التي تحمل مضامينها نفحات المعاني القرآنية ،ترسم الصورة لعدد من المعاني القرآنية ، بألوان مختلفة رسم كل شاعر لوناً جديداً لمعنى من المعاني القرآنية ، تلك المعاني شكلت نقطة ارتكاز انطلق منها المتخيل الشعري لهؤلاء الشعراء ،فشحذ الخيال ، وغذَّى المتخيل الشعريين، وصاغ المعنى بطاقة تعبيرية تكثيفية ، رسمت الصورة التي استطاعت الوصول إلى الغاية التي أرادها الشاعر.

ثانياً. المعنى اللوني القرآني في الشعر العربي.

تعريف اللون لغة .

يقول ابن دريد(هو لون كل شيء ما فصل بينه وبين غيره).[١٥]

ويعرفه ابن فارس:(بأنه سحنة الشيء من ذلك اللونُ، لون الشيء كالحمرة والسواد).[١٦] ويؤكد ابن منظور على أنَّ : (دلالة اللون ، على الهيئة).[١٧]

من هنا نستنتج أنَّ اللون لأيٍّ شيء هو الشيء الذي يفصل بينه وبين غيره.

تعريف اللون اصطلاحاً.

(هو الصبغة اللونية الدَّالة على الهيئة التي يتمُّ بها تمييز اللون الأحمر عن اللون الأصفر ، المُدْرَكة بالعين ، لتوافر النور الذي يعمل على إثارة خلايا الدماغ ، فينتج عن تلك الإثارة والإحساس باللون).[١٨]

يعدُّ المعنى اللوني من المعاني التي تناولها القرآن الكريم ، في محكم آياته من خلال مدلولات متعددة ،وأبعاد مختلفة ، حيث شكَّل اللون بما يحمل من معان مادَّة ثرَّة للدِّراسة البحثية والنقدية ، حيث الأرض ، والسماء كليهما ألوان ، وأضواء .

من هنا فقد اختلفت المفاهيم اللونية القرآنية، وانعكاساتها على الشعر، تبعاً للظروف التي نزلت فيها ، وما توحيه ألوانها من دلالات ، ومعان تزيد من الترابط بين الفرد ومظاهر الحياة المختلفة ، وما تعكسه من قيم تعبيرية ، (فهي كالظلال من ناحية تجسيم المدركات، وإيضاح الشكل ، وإعطائه معنى وحياة).[١٩]

شكَّل اللون بما يحمل من معاني الجمال والإعجاز عنصراً من عناصر الأصالة الجمالية الإعجازية، التي واجهت الإنسان العربي صاحب اللغة الفصيحة، والفصاحة الفريدة، ولكن أين فصاحته من فصاحة القرآن وصياغة ألوانه؟ الذي أعجزه وهزمه، فوقف تائهاً متمرّداً ،حيث نزلت الآية الكريمة ،لقول تعالى :

(قُلْ لَئِنْ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ والْجِنُّ على أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا القُرْآن لَا يَأْتُوْنَ بِمِثْلِهِ ، وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيْراً).[٢٠]

من هنا فإنَّنا نرى أنَّ اللون هو تلك الطاقة المشعة التي تمتلك طولاً موحياً ، يختلف من لون إلى آخر ، وذلك حسب تردد اللون وذبذبته ، وطرق استقباله ، وترجمته إلى أنواعه اللونية ،وقد جاءت الألوان القرآنية في معاني مختلفة ، فكانت منهلاً خصباً للمتخيل الشعري للشاعر ، فمنه استلهم

المعنى ، وأخذ الطاقة ، وشحذ القريحة ، كما الأمر عند أبي طالب حين مدح الرسول صلى الله عليه وسلم :[٢١]

وَأَبْيَضَ يُسْتَسْقَى الغَمَامُ بِوَجْهِهِ رَبِيْعُ اليَتَامَى عِصْمَةٌ لِلْأَرَامِلِ

فالمعنى (البياض) ،مُستقى من القرآن الكريم ، الذي رفد البيت الشعري بالطاقة المعنوية للمعنى ،وقوله تعالى في كتابه العزيز : (وأمَّا الَّذِيْنَ ابْيَضَّتْ وُجُوْهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللهِ هُمْ فِيْهَا خَالِدُوْنَ).[٢٢]

فالبياض هنا تعبير عن الفرح والسرور، وهو من أكثر الألوان استعمالاً في القرآن الكريم ، وأكثر استعمالاته القرآنية في وصف المؤمنين ، دلالة على الطهارة ، والنقاء ، وحسن المآب والبشرى، وهو من أكنز الألوان ، فالغمام يرتشف ماءه من ندى وجه النبي(ص) ،وهو صاحب الوجه النَّضر الذي جمع كل صفات الخير والسماحة، في وجهه الكريم ، وهذا العنوان في البيت الشعري مصدر الخير لليتامى ، ومكمن قوَّة للضعفاء، ففي النظر إلى ندى وجهه الكريم طمأنينة للنفس ،وسكينة للقلب، وشعور بالأمان .

ومن ذلك قول حسان بن ثابت ، يمدح آل جفنة :[٢٣]

بِيْضُ الوُجُوْهِ كَرِيْمَةٌ أَحْسَابُهُمْ شُمُّ الأُنُوْفِ مِنَ الطِّرَازِ الأَوَّلِ

فالبياض عنوان الاستبشار ، والفوز ، ونيل المطالب والتمنيات ، وهو حقيقة من الحقائق التي يوسم بها المؤمن يوم القيامة ، فالبياض هو شعار أهل النعيم لأنَّ رحمة الله سبقت غضبه)[٢٤] ،فاللون الأبيض هو رمز النور الإلهي ، (الذي لولاه ما كانت رؤية الألوان ممكنة).[٢٥]

تختلف دلالة اللون ومعانيه باختلاف موقعه وطريقة توظيفه ، فها هو ذا حسان يوظِّف اللون الأبيض في وصف السيف فيضمنه واحداً من المعاني البعيدة للبياض ، متأثراً بقوله تعالى في : (وأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الخَيْلِ تُرْهِبُوْنَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوِّكُمْ ،وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ).[٢٦] فيقول:[٢٧]

بِالْبِيْضِ حِيْنَ تُسَلُّ مِنْ أَغْمَادِهَا يَوماً ، وَإِنْهَالِ الرِّمَاحِ وعَلِّهَا

أخذ البياض معاني كثيرة في القرآن الكريم ، فهو لفظ يدلُّ على الإشعاع ذي الطيف الواسع والانطلاق السريع ، فالشاعر أسبغ البياض على السيف وحمَّله معنى القوة ،من خلال قدرة تخييلية كبيرة استطاعت إضفاء القوة على اللون الأبيض من خلال ذكر السيف ، وتضمينه معنى من معانيها .

اللون الأبيض صفة لليدين:

أخذ اللون الأبيض طيفاً واسعاً من المعاني الإيجابية في القرآن الكريم ، فكان ذلك حافزاً قوياً للشعراء لاستلهام هذه المعاني ، وتوظيفها في أشعارهم، ومن هذه الصفات صفة بياض اليدين التي ذكرها عدد من الشعراء وضمنوها أشعارهم ، كالشريف الرضي عندما قال : [٢٨]

أَنَّ أَيْدِيَهُمْ في النَّاسِ مَا خُلِقَتْ إِلَّا لِبَذْلِ الأَيَادِي وَالعَطِيَّاتِ

متأثراً بقوله تعالى: (وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِيْنَ).[٢٩]

فاليد البيضاء هي اليد النظيفة النقية المعطاءة الخيرة التي لا تعرف إلاَّ البذل والعطاء، ولا تعرف ردَّ الإساءة إلاَّ بالإحسان.

أمَّ الشاعر أحمد شوقي فقد استلَّ معنى جديداً من معاني البياض، عندما قال :[٣٠]

وإِنْ تَقَدَّمَ ذُوْ تَقْوَى بِصَالِحَةٍ قَدَّمْتَ بَيْنَ يَدَيْهِ عَبْرَةَ النَّدَمِ

متأثراً بقوله تعالى : (يَوْمَ تَرَى المُؤْمِنِيْنَ وَالمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُوْرُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيْهِمُ وَبِإِيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمْ اليَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِيْنَ فِيْهَا ذَلِكَ هُوَ الفَوْزُ العَظِيمُ).[٣١]

فالله تبارك وتعالى كرَّم المؤمنين بأنوار الجنة الساطعة ، التي تبهر الناظرين ، فالنور هو عنوان البشارة للمؤمنين والمؤمنات ؛ لأنَّ أعمالهم كانت خيرة ناصعة البياض خالية من الشوائب ، مبذولة نقية صافية ليس لها غاية سوى وجه الله تعالى، لذلك انعكس بياض السريرة ونقاء القلب على بياض العمل، وصفائه، ففي العمل النقي والعطاء النقي راحة للنفس ، وسموٌّ للروح ، نحو بارئها (والبياض مجاز عن الفرح والسرور).[٣٢]

اللون الأبيض بين المنع والتحريم.

حمل اللون الأبيض في مضامينه معنى المنع والتحريم حرصاً على تمام عمل الصائم ، وكمال أجره ، وقد أشار كثير من الشعراء إلى ذلك ومنهم الشاعر أمية ابن أبي الصلت، حين قال :[٣٣]

الخَيْطُ الأَبْيَضُ ضَوْءُ الصُّبْحِ مُنْفَلِقٌ وَالخَيْطُ الأَسْوَدُ لَوْنُ اللَّيْلِ مَكْمُوْمُ

متأثراً ومستلهماً معانيه من قوله تعالى :

(وَكُلُوْا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الفَجْرِ).[٣٤]

وهنا اقتران اللون الأبيض بضوء القمر، كما أنَّه كنَّى عن البياض في أول النهار ، وسواد آخر الليل ، حيث شبهه بالخيط الأسود وهو بياض الصبح الكاذب ؛ لأنه بياض مستطيل ،والبياض الحقيقي هو بياض مستدير في الأفق ، فدلت الآية على أنَّ الخيط الأبيض من الفجر فهي الحداد من الصبح الكاذب).[٣٥]

وقيل : (الخيط الأسود ما يمتدُّ من غبش الليل مع الفجر المعترض).[٣٦]

من هنا فاللون الأبيض جاء لوناً دالًا على الصفاء والنقاء ، والروحانية ، وقد وظَّفه الشعراء في قصائدهم متأثرين بالقرآن الكريم الذي ضمن آياته البياض بكل معانيه، وهو اللون الذي يوصف به ،(من لم يتدنس بمعاب ، وهو أبيض اللون).[٣٧]

اللون الأسود من المعنى القرآني إلى السياق الشعري.

تميزت اللغة العربية عن سائر اللغات بدقة التعبير، والقدرة على التماهي مع الألوان، وتداخلاتها اللونية الأصلية ، وتموجاتها الفرعية، ودقة مدلولاتها، لذلك من هنا يعد اللون من أهم الوسائل التي تعبر عن القيم الشكلية ، والمعاني النفسية ، والنواحي الجمالية، لذلك وظَّف الشعراء العرب عبر العصور والأزمنة اللون في أشعارهم للدَّلالة على مكنونات أنفسهم ،وما تكتنزه خواطرهم من أفكار ،(وقد ربطوا بين اللون والدين).[٣٨]

واللون الأسود من الألوان التي ذكرها الله تعالى في محكم تنزيله ، في كثير من الآيات الكريمة ، وقد نهل الشعراء من معين هذه الآيات ، فاستلهموا معانيها ، ووسعوا آفاقهم التخييلية عن طريقها، ورفدوا ذواكرهم بالمعاني الجديدة ، والمعجزة التي لبَّت حاجاتهم ، وأصابت أهدافهم، وخدمت أغراضهم .

إنَّ الألوان زينة العيون ، وبهجة النفوس ، وهي سرٌّ من أسرار الوجود ، ووسيلة من وسائله التعبيرية الفنية ، التي أدهش الله تعالى بها البشر من خلال خلقها واستخدامها ، وتوظيفها، يقول تعالى:

(أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفاً أَلْوَانُهَا ، وَمِنَ الجِبَالِ جُدُدُ بِيْضٌ وَحُمُرٌ مُخْتَلَفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيْبُ سُوْدٌ).[٣٩]

وقد جاءت هذه المعاني كمحرِّك لقرائح الشعراء ، ومحرّضٍ لمتخيلاتهم الشعرية ، فكانت خير مسعف ، وخير معين لرفد شاعريتهم ، وتنضيد ألفاظهم ، وتشذيبها ، وتوسيع مدركاتهم ، فجاء السواد في الآية الكريمة كمحفِّز ومؤثر في ألفاظ الشعراء

بما يتضمنه من معاني ،ومنها قول أحدهم :[٤٠]

أَبْقَى لنَا اللهُ وَتَـقْعِيْرُ الجَرِّ سُوْداً غَرَابِيْبَ كَأَطْلَالِ الحَجَرْ

جاءت الآية الكريمة مصدراً ثرًّا لمتخيل الشاعر لأخذ المعنى وتوظيفه ، حيث جاء الأثر واضحاً ، في البيت الشعري ، فلون السواد لم يأت مؤكداً في الآية وحدها ،وإنَّما جاء في البيت الشعري ، فتوكيد السواد دال من تأكيد ثبات الصفة .

ومن معاني السواد التي جاءت في القرآن الكريم الهمَّ والغمَّ ، ومنه قوله تعالى : (وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيْمٌ).[٤١]

فالسواد سكن وجهه ، وقد كنَّى عنه بالغمِّ الذي اجتاح كيانه، فالمرء عندما يغتمُّ تحقن روحه في باطن قلبه ، وتضمحل قوَّته ، وتذهب إشراقته ،لهذا جاء السواد بهذا المكان ، ولوازم الغم بهذا المعنى (كُمُوْدَةِ الوجه ،وغبرته وسواده).[٤٢]

ومن معاني السواد ما دلَّ على نوعية العمل الذي يقوم به الإنسان، وهذا ما أشار إليه ابن جابر الأندلسي، متأثراً بقوله تعالى : [٤٣]

(يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوْهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوْهٌ ، فأمَّا الَّذِيْنَ اسْوَدَّتْ وُجُوْهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيْمَانِكُمْ ، فَذُوْقُوا العَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُوْنَ).

يقول ابن جابر الأندلسي :[٤٤]

بِجَاهِكَ تَبْيَضُّ الوُجُوْهُ بِشَارَةً إِذَا اغْبَرَّ وَجْهُ المُنْتَنِي عَنْكَ وَاسْوَدَّا

فاغبرار الوجه دالٌ على الكمد والسواد ،(فيظلُّ نهاره معتماً من الكآبة والحياء).[٤٥]

فالإنسان إذا قوي غمه ، احتقنت روحه ، وظهر أثر الكثافة التجهمية على وجهه ،(لذلك كانت كوزدة الوجه وسواده كناية عن الغم والحزن والكراهية).[٤٦]

وهنا إشارة إلى نوعية العمل الذي يقوم به الإنسان خلال مسيرة حياته ، فمن عمل صالحاً فسيلقى الجزاء الحسن ، ومن عمل غير صالح ، فسيلقى الجزاء العسير ، وهنا يدلُّ الشاعر على نوعية

العمل ونتيجته ، وجزائه ، ولكنَّ الله أكرم نبيه بأن قبل شفاعته ،حتى بمن اغبرَّ وجهه واسودَّ من سوء عمله ،مستلهماً ذلك من الآية الكريمة السابقة.

لقد جاءت المعاني القرآنية رافداً كبيراً للشعراء ، الذي وجدوا في تلك المعاني ضالتهم التي شغلتهم وقتاً طويلاً ، حتى وجدوها رياضاً من المعاني والألفاظ ، التي استطاعت ملامسة شغاف قلوبهم ، ومناجاة أرواحهم التي عانت كثيراً من فراغ روحي لم تستطع أن تملأه حتى نزل القرآن الكريم بمحكم سوره ، وآياته، فكان المعين الذي لا ينضب ، والنبع الذي لا يجف ، والخضرة التي لا تذبل ، حتى أصبح منهلاً للشعراء كلما غرفوا منه زاد مداده، وكان اللون من بين المعاني التي ارتاد الشعراء معينها وغرفت ذواكرهم من أفكارها ، وشُحذت قرائحهم بمعانيها، من هنا

جاءت الألوان بحكم الطبيعة التي أقرَّها الله سبحانه وتعالى ، ففرضت نفسها على كلِّ شيء صامت أو ناطق ، جامد أو متحرك ، كونها شكلت ضرورة وجودية من الضرورات التي خلقها الله تعالى.

ثالثاً. المعنى المدحي القرآني وأثره على الشعر العربي

١ .تعريف المعنى لغة :

عرَّف ابن فارس المعنى بقوله : (إنَّ العين والنون والحرف المعتل أصوله ثلاثة : الأول : القصد للشيء بانكماش فيه ،وحرصٍ عليه، والثاني :دالٌّ على خضوع وذلٍّ ، والثالث: ظهور شيء وبروزه).

٢. تعريف المعنى اصطلاحاً :

يعدُّ مفهوم المعنى من المفاهيم الغامضة لدى العلماء العرب، حيث وصفوا المعنى دون تحديد لهويته بشكل دقيق .

يقول الجاحظ : (المعاني القائمة في صدور الناس ، المتصورة في أذهانهم ، والمتخلجة في نفوسهم ، والمتصلة بخواطرهم ، والحادثة عن فكرهم ، مستورة خفية ، ومحجوبة مكنونة ، وموجودة في معنى معدومة)[٤٧].

أمَّا الجرجاني ، فقال : (المعاني هي الصور الذهنية من حيث إنه وضع بإزالتها الألفاظ والصور الحاصلة في العقل ، فمن حيث تقصد باللفظ سميت معنى ، ومن حيث إنَّها تحصل من اللفظ في العقل ، سميت مفهوماً ، ومن حيث إنه مقول في جواب ما سميت ماهية ، ومن حيث ثبوته في الخارج سميت حقيقة ، ومن حيث امتيازه عن الأغيار سميت هوية).[٤٨]

تعريف المديح لغة:

إنَّ جذر الفعل مدح (م.د.ح)،(يدل على وصف المحاسن بكلام جميل ، ومدحه ، يمدحه ، مدحاً : أحسن عليه الثناء ، والأمدوحة : المدح).[٤٩]

والمدح هو الثناء ، خلاف الذم ، وقد فرَّق ابن منظور بين المدح ، والمدحة، بقوله : (بأنَّ المدح : المصدر ، والمدحة : الاسم والجمع ، مدح وهو المديح،... والمدائح جمع المديح من الشعر الذي مدح به كالمدحة ، والأمدوحة).[٥٠]

تعريف المديح اصطلاحاً.

يقول الجرجاني : (المدح هو الثناء باللسان على الجميل الاختياري قصداً)[٥١]، أو بعبارة أخرى هو : (ذكر مناقب شخص ،أو هيئة اجتماعية ،أو مزايا عمل من الأعمال في خطاب علني نثراً أو شعراً)[٥٢].

تعدُّ المعاني المدحية من أهمِّ المزايا التي تزخر فيها النصوص القرآنية ، حيث حملت هذه المعاني جميل المدائح ، ولطائف الثناء ، وأبرزت جواهر الصفات، لذلك كانت المعاني حوامل آمنة للصفات ، ونفائس فريدة للألفاظ .

تمثِّل المعاني المدحية العلاقة الودِّية بين الكلمات داخل النَّصِّ ، وهي تحمل في طياتها معاني صفات الممدوح ، كما أنَّها تمثِّل السلوك اللغوي الظاهر والمضمر ، من خلال السياق، والصيغة اللغوية، التي تمثِّل الموقف الذي ينطقها المُتكلم فيه، والاستجابة التي تستدعي من السامع الاستجابة له.

لقد مثلت للمعاني المدحية اللغوية القرآنية حاضنة ، للمعاني المدحية اللغوية الشعرية ، حيث نهل الشعراء من معين تلك المعاني ، فجاءت قيمة لغوية مضافة غذَّت ذاكرتهم ، وشحذت قرائحهم ، وحرَّضت متخيلاتهم الشعرية ، من خلال المعاني الغنية بالدلالات والإيحاءات ، فانطلق الشعراء بقوة دفع لغوية جديدة متجددة.

لقد مثلت المعاني المدحية الشعرية من خلال تأثرها بالمعاني القرآنية أنموذجاً فريداً وجديداً في ظاهرة المدح ، وقد جاءت النصوص الشعرية تنبض حياة ، ونشاطاً من خلال الشحن الروحي للكلمات ، حيث تأثر عدد كبير من الشعراء عبر العصور بالنصوص القرآنية ، فاستوحوا منها جواهر المعاني ، وأسبغوها على أشعارهم ، حتى أضحت أشعار الكثيرين منهم مجبولة بالمعاني والألفاظ القرآنية، ومن هذه المعاني:

أ. **بقاء الذكر وخلوده من خلال العمل الصالح.**

أشار أبو الطيب المتنبي ،إلى هذا المعنى ، عندما رثى محمد بن إسحق التنوخي ، يقول :[٥٣]

كَفَلَ الثَّنَاءُ لَهُ بِرْدَ حَيَاتِهِ لمَّا انْطَوَى فَكَأَنَّهُ مَنْشُوْرُ

وَكَأَنَّمَا عِيْسَى بنُ مَرْيَمَ ذِكْرُهُ وَكَأَنَّ عَازَرَ شَخْصُهُ المَقْبُوْرُ

فثناء الناس لمحمد التنوخي كفل له الذكر بعد الموت ، وكأنه حاضر موجود لم يفارق الدنيا ،لكن المبالغة في الثناء قد تفسد الثناء نفسه ، فالثناء يخلده ، لكنه لا يردَّه إلى الحياة ،فجاء تأثر الشاعر بالمعنى القرآني مبالغاً فيه ، وهو في ثنائه هذا يشير إلى الآية القرآنية من قوله تعالى : (فَأَحْيَيْنَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُوْرُ).[٥٤]

لقد نفذ المتنبي في توظيف معنى النشور إلى المعنى الذي يريده ،(حيث نقل معاني الأفعال ودلالاتها إلى قاموسه ودلالته الشخصية، ممَّا أهَّله لامتلاك قاموس خاصٍ به في بعض الألفاظ)[٥٥]، وذلك لغاية في نفسه ، فالميت منشور في ذكره ، وليس من خلال إعادته إلى الحياة ، فهذا أمر يتعلق بإعجاز إلهي .

لقد غاص المتنبي عبر نصوصه الشعرية ،(في أعماق التاريخ ليستخرج منه إحالة تناصية تأثرية ، فأعاد تشكيل التناص التاريخي وفق ما يتلائم مع تجربته الذاتية).[٥٦]

ب.البشارة:

أعمل المتنبي متخيله الشعري في النَّصِّ القرآني ، فذهب بخياله إلى المكان البعيد في اقتفاء آثار المعاني المضمرة في ثنايا الآيات القرآنية ، وهذا ما أشار إليه من خلال قوله في مدح شجاع بن محمد الطائي :[٥٧]

إلى الثَّمَرِ الحُلوِ الَّذِي طِـيِّـئٍ لَهُ فُرُوْعٌ وَقَحْطَانُ بنُ هُوْدٍ لَهُ أَصْلُ

إِلَـى سَـيِّدٍ لَـوْ بَشَّرَ اللهُ أُمَّـهُ بِغَيْـرِ نَـبِيٍّ بَشَّرَتْنَا بِهِ الرُّسْلُ

جاء المعنى القرآني في النَّصِّ الشعري عميقاً ، وبعيد المرامي ، فالمتنبي عمَّق خياله ، وارتشف معانيه ، وأعاد حياكتها حتَّى أنَّ القارئ للوهلة الأولى يخدع بما قاله الشاعر من خلال تفننه في

الإحالة إلى النَّصِّ القرآني الذي يحكي قصَّة عيسى عليه السلام ، وبشارته بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، فاستشفَّ معنى أبياته من قوله تعالى : (ومُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَد).[٥٨]، وقوله تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيْراً).[٥٩]

استطاع المتنبي بعبقريته الفذَّة الدخول إلى بنية الآية، حيث تبنَّى الجوَّ القرآنيَّ ، واستطاع التماهي مع هذا الجو ، وقام بمزجه في نصه الشعري ، مع احتفاظ الآية بقدسيتها ، فلجأ إلى التَّناص القرآني ، لقد أدرك المتنبي نظرة الممدوح له فاستثمر المعنى ، وأتقن الحياكة ، باستخدام الإيهام والتحليق في آفاق المعاني المدحية .

ج.القوَّة والبأس.

عمل المتنبي على استلال المعاني القرآنية ، وتوظيفها في نصوصه الشعرية ، معتمداً على التَّناصّ والتَّأثر في تصوير المشاهد ، وتحوير المعاني خدمة للغرض المراد من المعاني المدحية في التوضيح والإفهام ،حيث مدح سيف الدولة ،وخصَّه بمعاني القوَّة والبأس يقول في وصف خيله التي وصلت ديار الروم منتصرة والقتلى ملقاة في كلِّ مكان : [٦٠]

تُسَايِرُهَا النِّيْرَانُ في كُلِّ مَسْلَكٍ بهِ القَوْمُ صَرْعَى وَالدِّيَارُ طُلُوْعُ

وَكَرَّتْ فَمَرَّتْ فِي دِمَاءٍ مَلَطْيَةٍ مَلَطْيَةُ أُمٌ لِلْبَنِيْنِ ثَكُوْلُ

لقد استحضر المتنبي صورة العذاب من النصِّ القرآني،لقوله تعالى :

(فَتَرَى القَوْمَ فِيْهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ)[٦١]، لإبراز معاني القوَّة التي أراد إظهارها للممدوح ، فالعذاب الذي تلقاه الأعداء على يدي الخليفة شبيه بعذاب الله للكفار ، وهذه المقارنة فيها مفارقة ومبالغة لكنَّ الشاعر استخدم أسلوب الابتكار والالتفاف على المعنى وتحويره ، وتوظيفه في المكان الذي يريده،(إذ اشتق نصاً من نصٍّ بطريق المحاكاة، أو التحويل ، فكأنه نصٌّ من الدرجة الثانية).[٦٢]، فصور القرآن ماثلة أمام عينيه ،(إذ ما تكاد تمحى من ذاكرته صور القرآن المشرقة حتى ركَّب على الصورة صورة أخرى ما تزال ماثلة في أذهان المتلقين)[٦٣].

د. الأمان.

تنوعت المعاني القرآنية في النصوص الشعرية ، حيث أضفت عليها هالة من القداسة ، من خلال تغلغلها بين مفاصل الكلمات ، وثنايا الجمل ، حيث رسم الفرزدق من خلال نصه الشعري في السياق المدحيّ لوحة شعرية جديدة اغترف معانيها من معين القرآن الكريم ، فظهر منجزه الشعري مرصعاً كلوحة فسيفسائية ، يقول في مدح هشام بن عبد الملك : [٦٤]

وَحَبْلُ اللهِ حَبْلُكَ مَنْ يَنَلْهُ فَمَا لِعُرًى إِلَيْهِ مِنِ انْفِصَامِ

فَجَاءَ بِسِنَّةِ العُمَرَيْنِ فِيْهَا شِفَاءٌ للصُّدُوْرِ مِنَ السّقَامِ

لقد عانق متخيل الفرزدق بمنجزه الشعري مسارات المعاني القرآنية ، حيث تقاطعت أشعاره مع النصّ القرآني الذي دعا فيه الله الناس للاعتصام بحبله ، يقول تعالى : (وَاْعَتِصِمُوا بِحَبلِ اللهِ جَمْيْعاً وَلَا تَفَرَّقُوا).[٦٥]

فالنَّصُّ القرآني نصٌّ عظيم استطاع الفرزدق ببراعته الاغتراف من معينه ،فرصَّع نصه الشعري ، ودبَّج معانيه ، فألبس أبياته حلل التقوى ، وتيجان الورع ، حيث أنه بنى نصَّه من خلال الصيرورة التخييلية، والتحويل والتحوير المعنوي الذي ساهم في بنائه بناءً متيناً ، بسبب النصّ القرآني الذي استقى من معينه ، واستخرج من حلله ، فروى تعطُّشه .

لقد أحدث الفرزدق تغييراً في بنية المعنى ، فالعروة القرآنية ، استلَّ منها معنى وظَّفه في بيته الشعري ، فلا يوجد انفصام لمن يستمسك بالعروة الوثقى ، مع إيمان ويقينٍ كاملين كما أنه لا يوجد انفصام لكلِّ من يستمسك بحبل الخليفة ولا ينفصل عنه ، أي أنَّ الإخلاص في الطاعة ، يقابله شعور بالأمان والطمأنينة.أمَّا الشطر الثاني من البيت الثاني ، فقد ظهر الأثر القرآني واضحاً ، فقد تقاطع الشطر الثاني مع الآية الكريمة ، قوله تعالى :

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا في الصُّدُوْرِ وَهُدىً وَرَحْمَةً للمُؤْمِنْين).[٦٦]

فالموعظة فيها رحمة وشفاء لصدور المؤمنين من الكدر ، والسقام ، والهمّ ، والخوف والارتياب ، لقد استطاع الفرزدق بعث الحياة في النَّصّ الشعري ، من خلال الحركية الدينامية التي منحها للنَّصّ ،

فقد شُحنه بطاقة روحية عالية لها فاعليتها وتأثيرها في نفس المتلقي،(فاستطاع إنتاج النصّ بحدود من الحرية ، وامتصاص ما سبق لتحويله إلى قاموسه ودلالته الخاصة)[٦٧] .

من هنا فإنَّ كلَّ نصّ قابل للتأثر والتأثير ،(عن طريق وجود ملفوظ حرفي من نصٍّ آخر ، وليس مندرجاً في بنيته على نحو صريح، إنَّما يحيل الذاكرة عليه ببعض دواله). [٦٨]

من خلال ما تقدَّم فإنَّ المعاني المدحية القرآنية تتمتع بطاقة تعبيرية إيحائية لم تستطع العقول البشرية حتى الآن الإحاطة بكلِّ تفاصيلها ، أوالدخول في مكامن أعماقها ، لأنَّها معان أمدَّها الله بطاقة تفوق طاقات البشر ، ولكن هذا ليس معناه أن المتخيلات الشعرية المبدعة لبعض الشعراء لم تستطع الخوض في غمار وفضاءات بعض المعاني القرآنية ، بل على العكس فقد كانت التجارب الناجحة كثيرة ، أثبت فيها الشعراء الفحول جدارتهم الشعرية.

الخاتمة

تعدُّ المعاني القرآنية المعين الصافي الذي ارتاد الشعراء غدرانه ، ونهلوا منه ما استطاعوا ، كما وظَّفوا معانيه وإيحاءاته في أشعارهم ، حيث حصلوا على الطاقة التي افتقدوها ، والقدرة التي لم يستطيعو امتلاكها ، فجاءت المعاني القرآنية لتروي الذاكرة الإنسانية التي جففها الاستهلاك اللغوي ، فأمدَّها بالطاقة الرُّوحية المفقودة ، من هنا ومن خلال البحث والدِّراسة ، فقد توصل البحث إلى النتائج التالية:

١.تعد المعاني لقر آنية من أهمِّ المصادر التي ارتادها الشعراء على مرِّ العصور.

٢. استطاعت المعاني القرآنية تغيير نمط التفكير والدراسة لكلِّ المتأثرين بها.

٣. تعددت المعاني القرآنية في النصوص الشعرية ، وفقاً لاستخداماتها ، وطريقة توظيفها.

٤. جاء المعنى التصويري كنوع من المعاني التي رفدت قرائح الشعراء ، وحرَّضت متخيلاتهم ، وأثَّرت تأثيراً فاعلاً في منجزهم الشعري.

٥. جاء الصبر كمعنى من المعاني التي ارتاد الشعراء معينها ، كونه شكَّل لازمة من لوازم الإيمان.

٦. شكَّل اللون بما يحمل من معاني الجمال والإعجاز عنصراً رئيساً من عناصر الأصالة الجمالي الإعجازية.

٧. مثلت المعاني المدحية القرآنية داخل النصوص الشعرية أنموذجاً جديداً للمعاني المدحية.

٨.إنَّ المعاني المدحية القرآنية تتمتع بطاقة تعبيرية إيحائية لم يستطع العقل البشري مجاراتها.

الهوامش:

[١] معجم مفردات ألفاظ القرآن ، الراغب الأصفهاني ،(ج١/ص٢٧٨).

[٢] شرح ديوان حسان بن ثابت ، تح : عبد الرحمن البرقوقي ،(ص٤٤٠).

[٣] سورة البقرة ،(آية ٢٢).

[٤] المدخل ،ابن الحاج ،(ج١/ص٣).

[٥] شرح ديوان الأخطل ،(ص١٧١).

[٦] سورة لقمان ، (آية ١٧).

[٧] سورة البقرة ،(آية ٢٥٧).

[٨] إحياء علوم الدين ،الغزالي،(ج٤/ص٦١).

[٩] الديوان ،أبو تمام ،ص١٣٤ .

[١٠] سورة الحاقة ، (آية ٦٤.٦٥).

[١١] صورة الجنة وصورة النار في القرآن الكريم ، أمل العمايرة ، (ص١١).

[١٢] ديوان إيليا أبو ماضي ، إيليا أبو ماضي ، ص١٥٢.

[١٣] سورة التوبة ، (آية ١٠٩).

[١٤] التبيان في تفسير القرآن ، شهاب الدين ابن الأهتم ، (ص٤٧).

[١٥] جمهرة اللغة ، ابن دريد، (ج٢١٩٧/٦).

[١٦] مقاييس اللغة ، ابن فارس،تح : عبد السلام هارون، (ج١٧٦/٥).

[١٧] لسان العرب ،ابن منظور ،(ج٤١٦/٣).

[١٨] الصورة اللونية في شعر السياب ، شاكر هادي التميمي ، (مج٢/ص١١٠).

[١٩] أثر كفِّ البصر على تشكيل الصورة الحسية عند أبي علي البصير،يوسف عباس علي ، (ص١١٨/١١٧).

[٢٠] سورة الإسراء ،(آية ٨٨).

[٢١] ديوان أبي طالب، جمعه وشرحه :محمد ألتونجي ، (ص١٠).

[٢٢] سورة آل عمران ،(آية ١٠٧/١٠٦).

[٢٣] الديوان ، حسان بن ثابت ،تح : عبدالله سنده ،(ص١٩٦).

[٢٤] التحرير والتنوير، (ج٤٤/٤).

[٢٥] اللغة واللون ، أحمد مختار،(ص١١٢/١١١).

[٢٦] سورة الأنفال ، (آية ٦٠).

[٢٧] الديوان ، حسان بن ثابت ، (ص٢١٢).

[٢٨] الديوان ، الشريف الرضي ، شرحه : محمد ألتونجي ، (ج١٩٩/١).

[٢٩] سورة الأعراف ،(آية ١٠٨).ي

[٣٠] الديوان ، أحمد شوقي ،الشوقيات، شرحه : علي العلي ، (ج١٦٢/١).

[٣١] سورة الحديد ،(آية ١٢).

[٣٢] دلالات الألوان في القرآن الكريم ، أحمد إبراهيم خضر اللهبي ، (ص٣).

[٣٣] الديوان ، أمية بن أبي الصلت ، تح : سجيع جميل الجبيلي، (ص١١٩).

[٣٤] سورة البقرة ،(آية ١٨٧).

[٣٥] التفسير الكبير،مفاتيح الغيب ، الرازي،(١١٠/٥).

[٣٦] الكشاف ،الزمخشري ، تح : عادل عبد الموجود وآخرون ، (ج٢٣١/١).

[٣٧] المفردات في غريب القرآن ، الأصفهاني،(ص١٥٤).

[٣٨] اللغة واللون ، أحمد مختار عمر، (ص١٦١).

[٣٩] سورة فاطر ،(آية ٢٦).

[٤٠] كتاب اللمع ، صنعه : أبي عبد الله الحسين بن علي النمري، (ص٦٣).

[٤١] سورة النحل ،(آية ٥٨).

[٤٢] مفاتيح الغيب ، الرازي، (ج٢٠/٤٥).

[٤٣] سورة آل عمران ،(آية ١٠٦).

[٤٤] شعرابن جابر الأندلسي ،تح : أحمد فوزي الهيب ،(ص٤١).

[٤٥] الكشاف ، الزمخشري،(٦١٢/٢).

[٤٦] التفسير الكبير ،الرازي،(١٢/٢٦).

[٤٧] البيان والتبيين ، الجاحظ ، (ج١/٧٥).

[٤٨] التعريفات ، الجرجاني ، (١٨٥/١٨٤).

[٤٩] مقاييس اللغة ، (ج٥/٣٠٨).

[٥٠] لسان العرب ،(ج٢/٥٨٩).

[٥١] التعريفات ، الجرجاني ، (١١٦).

[٥٢] معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب ، (ص٣٤٣).

[٥٣] الديوان ، أبو الطيب المتنبي ،شرح : أبي البقاء العكبري،(ج٢/١٣١).

[٥٤] سورة فاطر ، (آية ٩).

[٥٥] يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر ،الثعالبي،تح : مفيد قمحة،(ج١/٢٦٣).

ـ من معجم المتنبي ،(دراسة لغوية تاريخية)،السامرائي ،(ص١٩٨).

[٥٦] التناص التراثي ،واصل، (ص٧٧/٧٨).

[٥٧] الديوان ،أبو الطيب المتنبي،(ج٣/١٨٥)

[٥٨] سورة الصف ،(٦).

[٥٩] سورة الأحزاب ،(آية ٤٥).

[٦٠] الديوان ، أبو الطيب المتنبي ،(ج٣/١٠٢).

[٦١] سورة الحاقة ،(آية ٧).

[٦٢] دوائر التناص ،(معارضات البارودي للمتنبي)،عبد الواحد،(ص١٤).

[٦٣] مدخل إلى التناص ،ناتالي،تر : عبد الحميد بورايو،(ص١٧٦).

[٦٤] الديوان ، الفرزدق ، شرحه وضبطه وقدم له : علي فاعو،(ص٦٠١).

[٦٥] سورة آل عمران ،(آية ١٠٣).

[٦٦] سورة يونس ، (٥٧).

[٦٧] تحليل الخطاب الشعري ، محمد مفتاح ، (ص١٢٤).

[٦٨] التناص التراثي ،واصل ،(ص٩٥).

المصادر والمراجع:

١.إحياء علوم الدين ، ، طبعة : دار المعارف ،دار المعرفة ، بيروت ،(د.ت). ٢.التفسير الكبير ،مفاتيح الغيب ، الرازي ،دار إحياء التراث العربي ،٢٠٢٢. ٣.التبيان في تفسير القرآن ، شهاب الدين ابن الهاتم ، (ط١)، دار الغرب الإسلامي ،١٤١٩، ٢٠٠٣ .

٣.التناص التراثي ،واصل،(ط١)،دار غيداء ،عمان، واصل ،٢٠١١.

٤.تحليل الخطاب الشعري ، محمد مفتاح ،(ط٤)،الدار البيضاء، ٢٠٠٥.

٥.جمهرة اللغة ، ابن دريد ،(ط١)،دار العلم للملايين ،١٩٨٧.

٦.الديوان ، أبو الطيب المتنبي ،شرح : أبي البقاء العكبري،تح : مصطفى السقا وآخرون ،دار المعرفة، بيروت،(د.ت).

٧.دوائر التناص ،(معارضات البارودي للمتنبي)،عبد الواحد،(ط١)،دار الهدى للنشر والتوزيع، القاهرة ،٢٠٠٣.

٨.ديوان إيليا أبو ماضي ، إيليا أبو ماضي ، دار العودة ، بيروت ،١٩٤٥.

٩.ديوان أبي طالب، جمعه وشرحه :محمد ألتونجي، (ط١)،دار الكتاب العربي، بيروت ،لبنان ، ١٤١٤، ١٩٩٤.

١٠.الديوان ، حسان بن ثابت ،تح : عبدالله سنده ،(ط١) ،دار المعرفة ،بيروت، ١٤٢٧، ٢٠٠٦.

١١.الديوان ،أبو تمام ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، (د.ط).(د.ت).

١٢.الديوان ، الشريف الرضي ، شرحه : محمد ألتونجي ،دار الجبل ، بيروت،١٩٩٧.

١٣.الديوان ، أحمد شوقي ،الشوقيات، شرحه : علي العلي ،مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ،بيروت، ١٩٩٨.

١٤.الديوان،أمية بن أبي الصلت، تح : سجيع جميل الجبيلي،(ط١) ،دار صادر،١٩٩٨.

١٥.الديوان ، الفرزدق ، شرحه وضبطه وقدم له : علي فاعور،(ط١)،دار الكتب العلمية ،بيروت ،١٩٨٧،١٤٠٧.

١٦.شرح ديوان حسان بن ثابت ، تح : عبد الرحمن البرقوقي .

١٧.شعرابن جابر الأندلسي،تح:أحمد فوزي الهيب،(ط١)،دار سعد الدين،دمشق،٢٠٠٧

١٨.الصورة اللونية في شعر السياب ، شاكر هادي التميمي ، مجلة القادسية للعلوم التربوية ، العدد : الثاني، ٢٠٠٢.

١٩.صورة الجنة وصورة النار في القرآن الكريم ، أمل العمايرة ، أطروحة دكتوراه ،جامعة مؤتة ،٢٠١٦.

٢٠.الكشاف ،الزمخشري ، تح : عادل عبد الموجود وآخرون ،(ط١)،الناشر : مكتبة العبيكان،الرياض،١٩٩٨،١٤١٨.

٢١.كتاب اللمع ، صنعه : أبي عبد الله الحسين بن علي النمري، تح : وجيه أحمد الظَّل، مطبعة مجمع اللغة العربية ،١٣٩٦ ،١٩٥٦.

٢٢.لسان العرب ،ابن منظور ،الناشر : دار المعارف ،٢٠١٦.

٢٣.اللغة واللون ، أحمد مختار عمر، (ط٢)،عالم الكتب ، القاهرة .

٢٤.معجم مفردات ألفاظ القرآن ، الراغب الأصفهاني ، ،(ط)، دار الفكر بيروت ،(د.ت).

٢٥.المدخل ،ابن الحاج ،(د.ط)الناشر : مكتبة دار التراث ،(د.ت).

٢٦.مدخل إلى التناص ،ناتالي،تر : عبد الحميد بورايو،دار نينوى ،دمشق ،٢٠١٢ . ٢٧.مقاييس اللغة ، ابن فارس،تح : عبد السلام هارون، ١٣٩٩، ١٩٧٩.

٢٨.المفردات في غريب القرآن ، الأصفهاني،تح : محمد سيد كيلاني ،دار المعرفة، بيروت، لبنان.

٢٩.مفاتيح الغيب ، الرازي، (ط١)، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٢.

٣٠.يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر،الثعالبي،تح : مفيد قمحة ،(ط١)،دار الكتب العلمية ، بيروت ، ٢٠٠٠.

٣١. من معجم المتنبي ،(دراسة لغوية تاريخية)،منشورات وزارة الإعلام،بغداد ،السامرائي ،١٩٧٧.

الرسائل الجامعية،، المجلات العلمية

١.أثر كفِّ البصر على تشكيل الصورة الحسية عند أبي علي البصير،يوسف عباس علي حسين، مجلة كلية الآداب بقنا،٢٢٢،١٤٣٠.

٢.دلالات الألوان في القرآن الكريم ، أحمد إبراهيم خضر اللهبي ، مجلة آداب الرافدين ، العدد : (٤٥)، ١٤٢٨، ٢٠٠٧.